بدعة
جواز التعبد بجميع الأديان

هشام الخفاجي

بدعة جواز التعبد بجميع الأديان

الأسباب والجذور

الشيخ هشام الخفاجي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد ..

إن القائلين بجواز التعبد بجميع الأديان أجهدوا أنفسهم بالاستدلال على صحة زعمهم ، ولم يبق ما بوسعهم من دليل إلا وساقوه في سبيل الإثبات ، لأنه أمر خطير وليس من السهل تبنيه من غير التعرض لأدلته ولو من أجل إقناع أتباعهم ومريديهم.

ولكن الملفت للنظر أنهم لم يتطرقوا لجذور ذلك المدعى الذي انبثق من أوهام الفلاسفة والصوفية ، وكان التعتيم والتغاضي خيارا لا بديل له ، إذ كشف الحقيقة وبيان جذورها ليس لعدم

الجدوى في مرام المطلوب فحسب ، وإنما يوجب الاستخفاف به والجزم ببطلانه ، وهذا من دهاء الاستدلال وصناعة البرهان إغضاء الطرف عما يوجب النقض ، وخاصة فيما لو كان من شأنه أن يأتي على تلك البدعة ولا يبقي لها باقية .

ولهذا يكون أوجهُ ردٍ ونقضٍ على فكرة جواز التعبد بجميع الأديان والمذاهب هو بيان جذورها والوسط التي انطلقت منه ، وعلى أقل تقدير هو من أفضل الردود إذا لم يكن في مقدمتها ، وهذا ما سلطت الضوء عليه في هذا المختصر .

ليس بالشيء الجديد خروج البدع في شتى أنحاء البلاد الإسلامية والتنظير لأوهام الفلاسفة والصوفية حتى قرآنيا ، ثم لا ننسى كيف أن دعوى الاحتكام للقرآن الكريم نادى بها حتى عمر بن العاص !

وصدق أمير المؤمنين ﷺ : عندما قال لعبد الله بن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج : لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال

ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصا[1].

أي يحتمل التصريف على التأويل والحمل على الوجوه المختلفة فعند الأخذ بأحدها يحتج الخصم بالتأويلات والوجوه الأخرى .

فلنحذر شطحات هذه الأوساط التي ألبست لبوس الفقه ضمن دعاوى وشعارات الفقه التجديدي وما إلى ذلك من سياقات الأهواء والبدع.

هشام الخفاجي

النجف الأشرف ١٤٤٠هـ

---

[1]) نهج البلاغة،ج٣،ص١٥٠.

حكاية بدعة التعبد بالأديان

أن القول بجواز التعبد بجميع الأديان انبثق من وحدة الأديان التي هي وليدة بعض معاني ولوازم وحدة الوجود ولذا من الضروري جدا التطرق بداية لوحدة الوجود وما هو المعنى المراد والمقصود بها؛وقد رأيت بيانها ومعانيها بشكل دقيق وواضح عند السيد الخوئي ﵀ حيث تطرق لها معنى وحكماً في أبحاث الخارج حيث يقول :

١ـ القائل بوحدة الوجود إن أراد أن الوجود حقيقة واحدة ولا تعدد في حقيقته وأنه كما يطلق على الواجب كذلك يطلق على الممكن فهما موجودان وحقيقة الوجود فيهما واحدة والاختلاف إنما هو بحسب المرتبة لأن الوجود الواجبي في أعلى مراتب القوة والتمام،والوجود الممكني في أنزل مراتب الضعف والنقصان وإن كان كلاهما موجودا حقيقة وأحدهما خالق للآخر وموجد له فهذا في الحقيقة قول بكثرة الوجود والموجود معا نعم حقيقة

الوجود واحدة فهو مما لا يستلزم الكفر والنجاسة بوجه بل هو مذهب أكثر الفلاسفة بل مما أعتقده المسلمون وأهل الكتاب ومطابق لظواهر الآيات والأدعية فترى أنه ﷺ يقول أنت الخالق وأنا المخلوق وأنت الرب وأنا المربوب وغير ذلك من التعابير الدالة على أن هناك موجودين متعددين أحدهما موجد وخالق للآخر ويعبر عن ذلك في الاصطلاح بالتوحيد العامي.

٢ـ وإن أراد من وحدة الوجود ما يقابل الأول وهو أن يقول بوحدة الوجود والموجود حقيقة وأنه ليس هناك في الحقيقة إلا موجود واحد ولكن له تطورات متكثرة واعتبارات مختلفة لأنه في الخالق خالق وفي المخلوق مخلوق كما أنه في السماء سماء وفي الأرض أرض وهكذا ، وهذا هو الذي يقال له توحيد خاص الخاص وهذا القول نسبه صدر المتألهين إلى بعض الجهلة من المتصوفين ـ وحكي عن بعضهم أنه قال : ليس في جبتي سوى الله ـ وأنكر نسبته إلى أكابر الصوفية ورؤسائهم ، وإنكاره هذا هو الذي يساعده الاعتبار فان العاقل كيف يصدر منه هذا الكلام

وكيف يلتزم بوحدة الخالق ومخلوقه ويدعي اختلافهما بحسب الاعتبار ؟! وكيف كان فلا إشكال في أن الالتزام بذلك كفر صريح وزندقة ظاهرة لأنه إنكار للواجب والنبي ﷺ حيث لا امتياز للخالق عن المخلوق حينئذ إلا بالاعتبار وكذا النبي ﷺ وأبو جهل مثلا متحدان في الحقيقة على هذا الأساس وإنما يختلفان بحسب الاعتبار.

٣ـ وأما إذا أراد القائل بوحدة الوجود أن الوجود واحد حقيقة ولا كثرة فيه من جهة وإنما الموجود متعدد ولكنه فرق بين بين موجودية الوجود وبين موجودية غيره من الماهيات الممكنة لأن إطلاق الموجود على الوجود من جهة أنه نفس مبدأ الاشتقاق وأما إطلاقه على الماهيات الممكنة فانما هو من جهة كونها منتسبة إلى الموجود الحقيقي الذي هو الوجود لا من أجل أنها نفس مبدأ الاشتقاق ولا من جهة قيام الوجود بها حيث إن للمشتق اطلاقات فقد يحمل على الذات من جهة قيام المبدأ به كما في زيد عالم أو ضارب لأنه بمعنى من قام به العلم أو الضرب ، وأخرى

يحمل عليه لأنه نفس مبدأ الاشتقاق كما عرفته في الوجود والموجود ، وثالثة من جهة إضافته إلى المبدأ نحو إضافة وهذا كما في اللابن والتامر لضرورة عدم قيام اللبن والتمر ببائعهما إلا أن البائع لما كان مسندا ومضافا إليهما نحو إضافة وهو كونه بائعا لهما،صح إطلاق اللابن والتامر على بائع التمر واللبن،وإطلاق الموجود على الماهيات الممكنة من هذا القبيل ، لأنه بمعنى أنها منتسبة ومضافة إلى الله سبحانه بإضافة يعبر عنها بالإضافة الإشراقية فالموجود بالوجود الانتسابي متعدد والموجود الاستقلالي الذي هو الوجود واحد.وهذا القول منسوب إلى أذواق المتألهين ، فكأن القائل به بلغ أعلى مراتب التأله حيث حصر الوجود بالواجب سبحانه ويسمى هذا توحيدا خاصيا . ولقد اختار ذلك بعض الأكابر ممن عاصرناهم وأصر عليه غاية الإصرار مستشهدا بجملة وافرة من الآيات والأخبار حيث إنه تعالى قد أطلق عليه الموجود في بعض الأدعية وهذا المدعى وان كان أمرا باطلا في نفسه لابتنائه على أصالة الماهية ـ على ما تحقق

في محله ـ وهي فاسدة لأن الأصيل هو الوجود إلا أنه غير مستتبع لشيء من الكفر والنجاسة والفسق.

٤ ـ بقي هناك احتمال آخر وهو ما إذا أراد القائل بوحدة الوجود وحدة الوجود والموجود في عين كثرتهما فيلتزم بوحدة الوجود والموجود وأنه الواجب سبحانه إلا أن الكثرات ظهورات نوره وشؤونات ذاته وكل منها نعت من نعوته ولمعة من لمعات صفاته ويسمى ذلك عند الاصطلاح بتوحيد أخص الخواص وهذا هو الذي حققه صدر المتألهين ونسبه إلى الأولياء والعرفاء من عظماء أهل الكشف واليقين قائلا : بان الآن حصحص الحق واضمحلت الكثرة الوهمية وارتفعت أغاليط الأوهام . إلا أنه لم يظهر لنا إلى الآن حقيقة ما يريدونه من هذا الكلام[1].وكيف كان

---

[1]) قول السيد الخوئي ؒ : (إلا أنه لم يظهر لنا إلى الآن حقيقة ما يريدونه من هذا الكلام) لأن بعض كلماتهم غير واضحة كما قال الكلاباذي المتوفى في القرن الرابع الهجري : إن للقوم عبارات تفردوا بها واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم..وأما كنه أحوالهم فإن العبارة عنها مقصورة وهي لأربابها مشهورة.التعريف لمذهب أهل التصوف،ص١١١.

فالقائل بوحدة الوجود بهذا المعنى الأخير أيضا غير محكوم بكفره ولا بنجاسته مادام لم يلتزم بتوال فاسدة من إنكار الواجب أو الرسالة أو المعاد[1].

ما يهمنا من هذه الأقوال والمعاني الأربع هو المعنى الثاني والرابع ـ وقيدت الكلام بهما دون الأول والثالث إما لكونهما (الأول والثالث) لا يدلان بوضوح على القول بوحدة الأديان أو لكون من يقول بهما لا يلتزم بهكذا لازم لكي يكون الكلام في القدر الواضح والمتيقن ـ لأنهما يريان كل شيء هو عين الحق ومتحد معه وليس اختلافا معه في رتبة الوجود ـ كما في المعنى الأول ـ

وأيضا أبو الوفاء التفتازاني يتكلم عن خفاء كلام المتفلسفة بقوله : أنهم أسرفوا في الرمزية إسرافا إلى حد بدا معه كلامهم غير مفهوم للغير.مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص١٩٢.

وقال عن ابن سبعين الذي هو من أشهر القائلين بوحدة الوجود:أسلوب ابن سبعين في مصنفاته على اختلافها رمزي شديد الخفاء والتعقيد وهو يستخدم أحيانا في كتبه رموزا على طريقة علماء الحروف والأسماء تعبيرا عن مذهبه.مدخل إلى التصوف،ص٢٠٨

[1]) التنقيح في شرح العروة الوثقى،ج٣،ص٧٤-٧٧.

ولم يكن الاختلاف بحسب الإضافة الإشراقية ـ كما في المعنى الثالث ـ وإنما هو عينه وحقيقته فليس في الواقع إلا موجود واحد ولكن له تطورات متكثرة واعتبارات مختلفة ـ كما في المعنى الثاني ـ وأن الوجود والموجود الله سبحانه إلا أن التكثرات ظهورات لنوره وشؤونه ونعوت ذاته ـ كما في المعنى الرابع ـ ولذا كان السيد ﷺ ملتفتا وقيد ما لم يلتزم بتوال فاسدة[1] ، فإذا كان كل شيء في الوجود هو عينه ونعوته تصح عبادة كل شيء في الوجود لأنها عبادة له ولا اثنينية في البين ؛ ولهذا جوزوا عبادة كل معبود سواء كان حجرا أو شجرا وغير ذلك ـ كما يأتي إن شاء الله تعالى ـ فلا تستغرب منهم قولا كهذا بعد أن عدوا الموجودات عين حقيقته ونعوته ، بل إن المستغرب منهم أن لا يجوزا هكذا عبادة بعد أن كانت الموجودات لا تمتاز عنه ولاتغايره حقيقةً ووجوداً في نظرهم.

---

[1]) ما ذكره ﷺ من إنكار الواجب والرسالة والمعاد هي أمثلة للوازم الفاسدة وليس حصرا لها.

الصوفية وفكرة جواز التعبد بجميع الأديان

إن الشعر الصوفي وسيلة من وسائل تعبير الصوفية عن أفكارهم وأحوالهم ولهذا هم يصرحون بمعتقداتهم وحقائقهم من خلاله فعلى سبيل المثال والتقريب جسد ابن الفارض (ت:٦٣٢هـ) الحديث القدسي : ((ما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها)) بهذه الأبيات :

وجاء حديث في اتحادي[1] ثابت روايته في النقل غير ضعيفة
يشير بحب الحق بعد تقرب إليه بنقل أو أداء فريضة
وموضع تنبيه الإشارة ظاهر بكنت له سمعا كنور الظهيرة
لأسمع أفعالي بسمع بصيرة وأشهد أقوالي بعين سميعة[2]

---

[1]) يحسب ابن الفارض أن هذا الحديث يدل على اتحاد الخالق والمخلوق.

[2]) ديوان ابن الفارض/التائية الكبرى المسماة:لوائح الجنان وروائح الجنان.

وأيضا قوله :

ولم يشتغل عثمان عن ورده وقد ... أدار عليه القوم كأس المنية
وأوضح بالتأويل ما كان مشكلا ... علي بعلم ناله بالوصيَة
وسائرهم مثل النجوم من اقتدى ... بأيهم منه اهتدى[١] بالنصيحة[٢]

وقوله :

ويوسف إذ ألقى البشير قميصه ... على وجه يعقوب عليه بأوبة[٣]

ونجده ينصح بمقامات السروجي[٤] بقوله :

---

١) إشارة لما ورد عن العامة:(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

٢) ديوان ابن الفارض/التائية الكبرى المسماة:لوائح الجنان وروائح الجنان.

٣) تعبيرا عن قوله تعالى : **﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾** والأوبة هي العودة.

٤) مقامات السروجي للحريري وهي عبارة عن خمسين رواية قصيرة وكل منها عبارة عن لقاء يجري بين شخصيتين خياليتين هما الراوي الحارث بن همام والبطل أبو زيد السروجي.

وأمثال هذه المعاني التي قصدها بشعره كثيرة جدا فلست بصدد إحصائها وإنما لبيان أن أشعاره تمثل أفكاره ومعتقداته.

وقد عبر ابن الفارض أيضا عن معتقده بوحدة الأديان عندما قال:

وإنْ نار بالتنزيل محرابُ مسجد فما بار[3] بالإنجيل هيكلُ بيعة[4]
وأسفارُ توراة الكليم لقومه يناجي بها الأحبارُ في كلّ ليلة
وإن خرّ للأحجار في البدّ عاكفٌ فلا وجهَ للإنكار بالعصبيّة[5]
فقدْ عبد الدينار معنىً منزّهٌ عن العار بالإشراك بالوثنية
وقدْ بلغ الإنذار عنّي من بغى وقامت بي الأعذارُ في كلّ فرقة
وما زاغت الأبصارُ من كلّ ملّة وما زاغت الأفكار في كلّ نحلة

---

[1]) التلوين:الانتقال من حال إلى حال وعدم الثبات على موقف.

[2]) ديوان ابن الفارض/التائية الكبرى المسماة:لوائح الجنان وروائح الجنان.

[3]) بار:هلك.

[4]) البيعة:كنيسة النصارى وجمعها بيع.العين،ج٢،ص٢٦٥.

[5]) البد:بيت الصنم.يعني لو سجد للأحجار عاكف في بيت الصنم لا وجه للإنكار عليه بالتعصب.

وما اختار من للشمس عن غرَة صبا | وإشـرافها مـنْ نـور إسـفار غرّتـي
وإنْ عبـد النَـار المجـوسْ ومـا انطفـتْ | كمـا جاء في الأخبـار في ألـف حجـة
فمـا قصـدوا غـيري وإنْ كـان قصـدهـمْ | سـوا ي وإن لم يُظهـروا عقـد نيّـة [1]

وقال أبو الوفاء التفتازاني عند شرحها : ابن الفارض ينتهي من حبه وفنائه إلى القول بأن الأديان مختلفة من حيث الظاهر ، أما من حيث حقيقتها وجوهريتها فهي واحدة ، ومهما اختلفت صور العبادة فيها ، فهي تدعو إلى عبادة إله واحد ، وعنده أن الأديان الثلاثة ، وهي : اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام منتظمة في سلك واحد هو سلك التنزيل الإلهي ، وكذلك المجوس أيضا عبدوا نور الذات الإلهية متوهمين أنه النار،على أن كلام ابن الفارض في هذا الصدد وإن بدا أنه يعبر عن نزعة إنسانية في الارتفاع عن التعصب لدين معين إلا أننا لا نوافقه عليه لمخالفته صراحة للعقيدة الإسلامية ، فعباد الأصنام والنار وغيرهم من أصحاب الملل المخالفة للتوحيد ، لا يمكن أن ندرجهم في عداد

[1]) ديوان ابن الفارض/التائية الكبرى المسماة:لوائح الجنان وروائح الجنان.

أصحاب الملل الصحيحة، وتأويل ابن الفارض لمعتقداتهم تأويل مسرف[1].

وقالوا في شرحها أيضا : إن ابن الفارض مهد في هذه الأبيات أعذار كل فرقة وأن كل صاحب ملة ونحلة وإن بطل سعيه على نصيب من الهدى ، فعباد النار غير مؤاخذين من جميع الوجوه،بل من وجه دون وجه،ولا لوم على أحد،بل لكل واحد وجه ، ومحمل خير يحمل عليه،فكل يعمل على شاكلته ، وكذا عابد الأصنام . قالوا : لا تنكر عليه ، فإن أنكرت لم يكن إنكارك إلا تعصبا؛لأنك لا تنكر على المقبل على الدنيا،مع أنه أقوى شركا من عابد الصنم ، وقالوا : كما أن القرآن نور المساجد،فكذلك الإنجيل نور المعابد . وقالوا نحو هذا في التوراة،وفي عابد الشمس: أنه بإثباته عين الإلوهية لم يكن ناقصا،فقام له عذر من وجه من الوجوه .

[1]) مدخل إلى التصوف الإسلامي،ص٢٢٤.

وحدة الأديان عند الحلاج

روى ابن الساعي (ت:٦٧٤هـ) عن عبد الله بن طاهر الأزدي أن الحلاج قال :الأديان كلها لله عز وجل شغل بكل دين طائفة لا اختياراً فيهم بل اختياراً عليهم فمن لام أحداً ببطلان ما هو عليه فقد حكم أنه أختار ذلك لنفسه ، وهذا مذهب القدرية والقدرية مجوس هذه الأمة . واعلم أن اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة وأسام متغايرة والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف ثم قال :

تفكـرتُ في الأديـان جـداً محققـاً ... فألفيتهـا أصـلاً لـه شـعب جمـاً
فـلا تطلـبن للمـرء دينـا فإنـه ... يصـد عـن الوصـل الوثيـق وإنمـا
يطالبــه أصــلٌ يعــبر عنــده ... جميـع المعـالي والمعـاني فيفهمـا[1]

وذُكرت هذه الأبيات في ديوان الحلاج باختلاف يسير :

تفكـرتُ في الأديـان جـد تحقـق ... فألفيتهـا أصـلاً لـه شـعب جمـاً

---

[1]) أخبار الحلاج،ص١٤.

فــلا تطلــبن للمــرء دينــا فإنــه يصــد عــن الأصــل الوثيــق وإنمــا
يطالبـــه أصـــلٌ يعـــبر عنـــده جميـعُ المعـالي والمعـاني فيفْهمـا[1]

ومن أقوال الحلاج : الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم وأما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما.[2]

---

[1]) ديوان الحلاج ،ص٢٥.

[2]) أخبار الحلاج،ص١٠.

وحدة الأديان عند الجيلي

يقول عبد الكريم الجيلي (ت:٨٠٥هـ) والذي هو من أشهر الفلاسفة والصوفية:

ـ ((لا إله إلا أنا)) يعني الإلـهية المعبودية ليست إلا أنا.فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع وفي كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة فما تلك الآلـهة كلها إلا أنا ولـهذا أثبت لـهم لفظة الآلـهة وتسميته لـهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه في الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية ولا كما يزعم أهل الظاهر أن الحق إنما أراد بذلك من حيث إنهم سموهم آلـهة لا من حيث إنهم في أنفسهم لـهم هذه التسمية وهذا غلط منهم وافتراء على الحق لأن هذه الأشياء كلها بل جميع ما في الوجود له من جهة ذات الله تعالى في الحقيقة هذه التسمية تسمية حقيقية لأن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء وتسميتها بالإلـهية تسمية حقيقية لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب أنها تسمية مجازية ولو كان كذلك لكان الكلام

أن تلك الحجارة والكواكب والطبائع والأشياء التي تعبدونها ليست بآلهة وأن لا إله إلا الله أنا فاعبدوني لكنه إنما أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو[1].

ـ فأما الكفار فإنهم عبدوه بالذات لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره والكفار من جملة الوجود هو حقيقتهم فكفروا أن يكون لهم رب لأنه تعالى حقيقتهم ولا رب له بل هو الرب المطلق فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم التي هو عينها ثم من عبد منهم الوثن فلسر وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج في كل فرد من أفراد ذرات الوجود فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها[2].

ـ عبادة الكفار له عبادة ذاتية[3].

---

[1]) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص١٠٣.

[2]) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٥.

[3]) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٦.

ـ وأما الطبائعية[1] فإنهم عبدوه من حيث صفاته الأربع،لأن الأربعة الأوصاف الإلهية التي هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة أصل بناء الوجود فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مظاهرها في عالم الأكوان فالرطوبة مظهر الحياة والبرودة مظهر العلم والحرارة مظهر الإرادة واليبوسة مظهر القدرة وحقيقة هذه المظاهر ذات الموصوف بها سبحانه وتعالى[2].

ـ وأما الفلاسفة[3] فإنهم عبدوه من حيث أسماؤه سبحانه وتعالى لأن النجوم مظاهر أسمائه وهو تعالى حقيقتها بذاته . فالشمس

---

[1]) عرفهم الجيلي بقوله : ذهبت طائفة أخرى إلى القياس بعقولهم ، فزيفوا عبدة الأوثان وقالوا : الأولى أن نعبد الطبائع الأربعة،لأنها أصل الوجود.إذ العالم مركب من حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة . فعبادة الأصل أولى من عبادة الفرع،لأن الأوثان فرع العابد،لأنها تحتها فهو أصلها فعبدوا الطبائع،وهؤلاء هم الطبيعيون.الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٤.

[2]) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٦.

[3]) عرف الجيلي الفلاسفة : ثم ذهبت طائفة إلى عبادة الكواكب السبعة، فقالوا : إن الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة ليس شيء منها في نفسه له

مظهر اسمه الله ، لأنه الممدّ بنوره جميع الكواكب كما أن الاسم الله تستمد جميع الأسماء حقائقها منه . والقمر مظهر اسمه الرحمن، لأنه أكمل الكواكب يحتمل نور الشمس ، كما أن الاسم الرحمن أعلى مرتبة في الاسم الله من جميع الأسماء كما سبق بيانه في بابه . والمشتري مظهر اسمه الرب؛ لأنه أسعد كوكب في السماء ، كما أن اسم الرب أخص مرتبة في المراتب لشموله كمال الكبرياء لاقتضائه المربرب . وأما زحل فمظهر الواحدية لأن كل الأفلاك تحت حيطته ، كما أن الاسم الواحد تحت جميع الأسماء والصفات . وأما المريخ فمظهر القدرة لأنه النجم المختص بالأفعال القاهرية . وأما الزهرة فمظهر الإرادة ، لأنه سريع التقلب في نفسه ، فكذلك الحق يريد في كل آن شيئا . وأما عطارد فمظهر العلم لأنه الكاتب في السماء.وبقية الكواكب

حركة اختيارية فلا فائدة في عبادتها والأولى عبادة الكواكب السبعة وهي:زحل،والمشتري،والمريخ،والشمس،والزهرة،وعطارد،والقمر،لأن كل واحد من هؤلاء مستقل بنفسه سائر في فلكه يتحرك بحركة مؤثرة في الوجود تارة نفعا وتارة ضرا فالأولى عبادة من له التصرف، فعبدوا الكواكب وهؤلاء هم الفلاسفة.الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٤.

المعلومة مظاهر أسمائه الحسنى التي تدخل تحت الإحصاء وما لا يعلم من الكواكب الباقية فإنها مظاهر أسمائه التي لا يبلغها الإحصاء.فلما ذاقت ذلك أرواح الفلاسفة من حيث الإدراك الاستعدادي الموجود فيها بالفطرة الإلهية.عبدت هذه الكواكب لتلك اللطيفة الإلهية الموجودة في كل كوكب؛ ثم لما كان الحق حقيقة تلك الكواكب اقتضى أن يكون معبوداً لذاته فعبدوه لهذا السر[1].

ـ إن الحق تعالى من حيث ذاته يقتضي أن لا يظهر في شيء إلا ويعبد ذلك الشيء وقد ظهر في ذرات الوجود.فمن الناس من عبد الطبائع وهي أصل العالم.ومنهم من عبد الكواكب.ومنهم من عبد المعدن.ومنهم من عبد النار.ولم يبق شيء في الوجود إلا وقد عبد شيئا من العالم[2].

---

[1]) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٧.

[2]) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٧ـ٢٥٨.

ـ وأما المجوس[1] فإنهم عبدوه من حيث الأحدية فكما أن الأحدية مفنية لجميع المراتب والأسماء والأوصاف كذلك النار فإنها أقوى الاستقصات وأرفعها فإنها مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتها لا تقاربها طبيعة إلا وتستحيل إلى النارية لغلبة قوتها فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف إلا ويندرج فيها ويضمحل فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاته تعالى[2].

ـ وأما الدهرية[3] فإنهم عبدوه من حيث الهوية[4].

---

[1]) عرفهم الجيلي بقوله:ذهبت طائفة إلى عبادة النار لأنهم قالوا:إن مبني الحياة على الحرارة الغريزية وهي معنى، وصورتها الوجودية هي النار، فهي أصل الوجود وحده، فعبدوا النار وهؤلاء هم المجوس.الإنسان الكامل،ص٢٥٤-٢٥٥.

[2]) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٨.

[3]) عرفهم الجيلي بقوله:ذهبت طائفة إلى ترك العبادة رأسا زعما بأنها لا تفيد،وإنما الدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة الإلهية على ما هو الواقع.فما ثم إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم الدهريون ويسمون بالملاحدة أيضا.الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٥.

[4]) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل،ص٢٥٩.

ومن الأبيات التي تنسب للجيلي :

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ... ومالي عن حكم الحبيب تنازع
فطورا تراني في المساجد راكعا ... وإني طورا في الكنائس راتع
إذا كنت في حكم الشريعة عاصيا ... فإني في علم الحقيقة طائع

نُقلت هذه الأبيات عن الجيلي في كتابه الإنسان الكامل وإن كنت راجعت أكثر من نسخة فلم أجدها فيه ، ولكن مع كلامه المتقدم لا يبعد صدورها منه ، وسواء صدقت النسبة له ـ في نسخة أخرى ـ أو لم تصدق فإن فيما ذكرته من كلامه يغني عنها جملة وتفصيلا ، ولا يضر عدم انتسابها إليها بعد ما رأينا أنه يرى كل عبادة سواء كانت للأوثان أو النار أو للطبيعة وغيرها من الموجودات هي عبادة لله تعالى.

من محيط عبد الكريم الجيلي وأمثاله جاءت إلينا فكرة جواز التعبد بجميع الأديان .

وحدة الأديان عند الرومي

يقول جلال الدين الرومي (ت:٦٧٢هـ):

نفْسي ، أيها النور المشرق ، لا تنْء عني لا تنْء عني

حبي ، أيها المشهد المتألق ، لاتنْء عني لاتنْء عني

انظرْ إلى العمامة أحكمتُها فوق رأسي

بل انظر إلى زنار زرادشت حول خصري

أحملُ الزنار ، وأحمل المخلاة

لا بل أحمل النور ، فلا تنْء عني، لا تنْء عني

مسلمٌ أنا ، ولكني نصراني وبرهمي وزرادشتي

توكلتُ عليك أيها الحق الأعلى، فلا تنء عني لا تنء عني

ليس لي سوى معبد واحد ، مسجداً كان أو كنيسة أو بيت أصنام.[1]

وحدة الأديان في رسائل إخوان الصفا

يقول المجريطي (ت:٣٩٥هـ) : ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى أن لا يعادوا علماً من العلوم أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها وذلك أنه هو النظر في جميع الموجودات بأسرها الحسية والعقلية ومن أولها إلى آخرها ظاهرها وباطنها جليها وخفيها بعين الحقيقة من حيث هي كلها من مبدأ واحد وعلة واحدة وعالم واحد ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة وأجناسها المتباينة وأنواعها المفننة، وجزئيا المتغايرة.[2]

---

[1]) في التصوف الإسلامي وتاريخه،ص٩٤.

[2]) رسائل إخوان الصفا ص٦٣١،رسالة رقم:٤٥.

إن هذه الرسالة لا تدل على وحدة الأديان بصورة واضحة ، ولكن قد تكون نتيجة لانعكاساتها وتماشيا مع إرهاصاتها أو لنقل ثمرة من ثمارها،ولا يبعد أن تدل على وحدة الأديان بصورة غامضة غير واضحة ، وعلى أقل تقدير هي تدل على التسامح الفكري وعدم التعصب لأي مذهب وإن كان حقا،وبعبارة أخرى أن القدر المتيقن من الرسالة هو التسامح الفكري إزاء المذاهب سواءاً كانت تلك المذاهب على حق أو باطل.

وحدة الأديان عند ابن عربي

توجد عدة كلمات لابن عربي تدل على وحدة الأديان وتصحيح عبادة كل شخص ـ مهما كان المعبود إذ لا امتياز للخالق عن الموجودات بناءً على وحدة الوجود التي تأتي الإشارة إليها في بعض كلماته أيضا ـ وهذه بعض كلماته التي جعلتها مابين الأقواس والخارج منها هو شرح لعبد الرزاق الكاشاني (ت:٧٣٠هـ) على فصوص الحكم :

ـ ((إياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر ما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه)) فإن الحق المتجلى في صورة المعتقدات يسع الكل ويقبلها جميعا فإذا تقيدت بصورة مخصوصة فقد كفرت بما سواه وهو الحق المتجلى بتلك الصورة إذ لا شيء غيره فإذا أنكرته فقد جهلته وأسأت الأدب معه وأنت لا تدري فيفوتك الحق المتجلى في جميع الصور التي هي غير الصورة التي تقيدت بها في اعتقادك وهو خير كثير بل يفوتك

العلم بالحق على ما هو عليه وهو الخير الكثير ((فكن في نفسك هيولى[1] لصور المعتقدات كلها فإن الإله تبارك وتعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد...وما ثم إلا الاعتقادات)) أي وما في أينية[2] كل جهة إلا الاعتقادات لأنها هي الجهات المعنوية تتوجه فيها قلوب المعتقدين إلى الحق ((فالكل مصيب)) لأن للحق في كل معتقد وجها ((وكل مصيب مأجور)) لأن له من الحق المطلق حظا ونصيبا ((وكل مأجور سعيد وكل سعيد مرضى عنه وإن شقي زمان في دار الآخرة))[3].

وأقول : إن ابن عربي حذر من أن يعتقد أحد بدين واحد فقط ويكفر بما سواه وذلك حتى لا يفوته الخير الكثير ودعا إلى أن

---

١) الهيولى لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية.المعجم الفلسفي،ج٢،ص٥٣٦.

٢) الإنيّة اصطلاح فلسفي قديم معناه تحقق الوجود العيني.المعجم الفلسفي،ج١،ص١٦٩.

٣) فصوص الحكم/الفص الهودي.

يكون أي أحد قابلا لكل المعتقدات على اختلافها لأن الله سبحانه وتعالى أوسع من أن يكون محصورا في معتقد واحد فقط وصرح بأن كل عابد في هذه الدنيا مصيب أيا كان معبوده.

ـ ((والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه)) لأن الوجود الحق هو الذي ظهر في الكل وفي كل واحد ((ولذلك سموه كلهم إلها مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك هذا اسم الشخصية فيه والألوهة مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبودة وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد الخاص المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص)) يعنى أن الألوهة في كل معبود هي مرتبة رفيعة تخيل عابدة أنها مرتبة معبوده وهي في الحقيقة كونه مجلى الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود فاحتجب العابد بحكم تعينه بتعين المجلى الخاص عن وجه الحق المتعين به وذلك بجزئية هوى نفسه وتعينه بالشخص والنوع ، إذ لو انطلق عن قيد التعين لشاهد وجه الحق في الكل فكان الشاهد والمشهود حقا

يحب الحق ((ولهذا قال بعض من لم يعرف مقاله جهالة **﴿ما نَعبُدُهُمْ إلّا لِيُقَرِّبُونا إلَى الله زُلْفى﴾**[1] مع تسميتهم إياهم آلهة)) أي ولأن المعبود الخاص مجلى الحق لبصر هذا العابد المحجوب بتعين معبوده هو المجلى المختص قال من لم يعرف مقاله ولغاية جهله **﴿ما نَعبُدُهُمْ إلّا لِيُقَرِّبُونا إلَى الله زُلْفى﴾**[2] فإنهم أثبتوا وحدة الله المقرب إليه مع تسمية معبوداتهم آلهة ولم يشعروا أنه إذا كان فيهم معنى الألوهية كانوا عين الله وحقيقته فما معنى التوسل بهم في التقريب ؟ ولم يشعروا أن الوسيلة إلى الإله ليس بإله فكأنهم بالفطرة عرفوا معنى الألوهية فيهم واحتجبوا بالتعينات فوقفوا مع صورة الكثرة ((كما قالوا **﴿أجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً إنّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾**[3] فما أنكروه بل تعجبوا من ذلك فإنهم وقفوا مع كثرة الصور الإمكانية ونسبة الألوهية لها فجاء الرسول ودعاهم إلى إله واحد يعرف ولا يشهد)) أي ما أنكروا

---

[1]) سورة الزمر : ٣ .

[2]) سورة الزمر : ٣ .

[3]) سورة ص : ٥ .

الإله بل تعجبوا من التوحيد لوقوفهم مع كثرة الصور الإمكانية ونسبة الألوهية لها[1].

وأقول : يرى ابن عربي أن العارف من يرى كل موجود مجلى لله والعبادة له حقيقة هي عبادة لله تعالى حيث إن وجود الله تعالى ظهر في كل شيء ولهذا صحح عبادة كل ما يُعبد وإن كان حجرا أو شجرا أو إنسانا أو كوكبا أو ملكا لأن كل ما عبدوه هو الله تعالى الذي تجلى في هذه الموجودات!

ـ بعد أن ذكر ابن عربي قوله تعالى :**﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[2] قال : ((فتجعلني سببا في تفريقهم فإن عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعا للسامري وتقليدا له ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى إليهم فيسألونه في ذلك فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه وكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم

---

[1]) فصوص الحكم/الفص الهاروني.

[2]) سورة طه : ٩٤ .

ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد إلا إياه وما حكم الله بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء))[1].

وأقول : يرى ابن عربي أن قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[2] هو قضاء تكويني وليس تشريعيا وما حكم به الله تعالى وقع ؛ وعليه ما كان يحق للنبي هارون ﷺ إنكار عبادة العجل التي حدثت بقضاء الله تعالى وكان عليه تقبل عبادة العجل لأن الحق والعارف ـ كما يقول ابن عربي ـ من يرى الحق في كل شيء ويراه عين الحق ولذا كان عتب النبي موسى لهارون عليه السلام !!

---

[1]) فصوص الحكم/الفص الهاروني.

[2]) سورة الإسراء : ٢٣ .

ـ ويواصل في قوله تعالى : ﴿فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ﴾[1] ((يعنى فما صنعت من عدولك إلى صورة العجل على الاختصاص))[2].

وأقول : أي لم يكن إنكار النبي موسى ﷺ على لسامري من أجل صناعة العجل وعبادته وإنما لكونه خصص العبادة في العجل حتى لا يحصر العبادة بشيء واحد!

ـ ((وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه ولذلك يسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثر الدرجات في عين واحدة فإنه قضى ألا نعبد إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهيا عبد فيها))[3] .

---

[1]) سورة طه : ٩٥ .

[2]) فصوص الحكم/الفص الهاروني.

[3]) فصوص الحكم/الفص الهاروني.

وأقول : يرى أن الله عز وجل ذو درجات يُعبد فيها وكل معبود عُبد فهو إحدى درجات الله حسب زعمه ومن ثم تكون العبادة لله ! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ــ يقول ابن عربي في قوم نوح : ((فعلم العلماء بالله ما أشار إليه نوح في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ثم قال عن نفسه إنه دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم و فهموا ذلك منه ﷺ لذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها فأجابوا دعوته بالفعل لا بلبيك))[١].

وأقول : يرى أن الكفار قد امتثلوا لدعوة النبي نوح ﷺ حقيقة وليس قولا لنفس ، لأن كل عابد مهما عبد تكون عبادته لله تعالى!

---

١) فصوص الحكم/الفص النوحي.

ـ ويقول : ((فقالوا في مكرهم **﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾**[1] فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله))[2].

وأقول : يرى أن الله تعالى موجود في هذه الآلهة وإذا تركوها جهلوا من الحق على قدر الترك لها وجعل عبادتهم للآلهة وجها من وجوه الحق!

ـ وقال عن فرعون : ((فآمن بالذي آمنت به بنو إسرائيل على التيقن بالنجاة فكان كما تيقن لكن على غير الصورة التي أراد فنجاه من عذاب الآخرة في نفسه ونجى بدنه كما قال تعالى: **﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾**[3] لأنه لو

---

[1]) سورة نوح : ٢٣ .

[2]) فصوص الحكم/الفص النوحي.

[3]) سورة يونس : ٩٢ .

غاب بصورته ربما قال قومه احتجب فظهر بالصورة المعهودة ميتا ليعلم أنه هو ، فقد عمته النجاة حسا ومعنى))[1].

وأقول : يرى أن فرعون نجاه الله من عذاب الآخرة وعمته النجاة حسا ومعنى مع أن القرآن الكريم يقول : ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[2].

ـ ويواصل في إيمان فرعون ويقول : ((فقالت لفرعون في حق موسى :﴿**قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ**﴾[3] فبه قرت عينها بالكمال الذي حصل لها كما قلنا وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق فقبضه طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الخبث لأنه قبضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئا من الآثام والإسلام يجبَ ما قبله))[4].

---

[1]) فصوص الحكم/الفص الموسوي.

[2]) سورة غافر : ٤٦.

[3]) سورة القصص : ٩ .

[4]) فصوص الحكم/الفص الموسوي.

وأقول : يرى أن الله قبض فرعون طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الخبث!

لو أن شخصا قال هذا الكلام لُسخر منه واتُهم بعقله ولكن عندما يقوله ابن عربي تنقلب الأمور رأسا على عقب!

ـ ((وكل صنف من هذه الأصناف صاحب معرفة بالله فما جهله أحد من خلق اللّه لأنه ما خلقهم إلا ليعرفوه فإذا لم يتعرف إليهم بهذه القوة الموصلة التي هي الفكر أو بالتعريف الإنبائي لم يعرفوه فلم يقع منه في العالم ما خلق العالم له و لنا في هذا المقام الذي عم المعتقدات نظم وهو هذا :

عقد الخلائق في الإله عقائدا   وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه[1]

وأقول : الديانات والعبادات متباينة فمنها ما هو الصحيح وما هو الفاسد ولكنه جمع المتناقضات بعقيدة واحدة بذريعة أن الله خلق العباد ليعرفوه ولذا صحح جميع دياناتهم وعباداتهم !

---

[1]) الفتوحات المكية،ج٢،ص١٣٢.

ـ ((سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها))[1]

وأقول : إذا كان يرى ابن عربي الله عين الموجودات لا نستغرب بعدها أن يجعل عبادة كل موجود هي عبادة لله تعالى ومن ثم تصويبها وجعلها حقا.

ـ وفي أبيات له :

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن[2]

يصرح بإيمانه بوحدة الأديان وأن قلبه يتسع لكل الأديان وكأنه لا فرق بين المسلم والمسيحي واليهودي والوثني وغيره مع أن القرآن الكريم جعل شرط القبول هو الإسلام وحكم على من يتخذ غير

---

[1]) الفتوحات المكية،ج٢،ص٤٥٩.

[2]) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق،ص٣٥.

الإسلام بالخسران : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

---

[1]) سورة آل عمران : ٨٥ .

معنى القطع الأصولي

استدل بعض المبتدعين على جواز التعبد بجميع الأديان بالقطع مع أنه لا يمكن الاستدلال به على ذلك الجواز ، لأن الاستدلال بحجية القطع لا تسعف فتوى جواز التعبد ؛ إذ المراد بالقطع في أصول الفقه حيثيات ومعان خاصة لا تشمل القطع بمعتقد ما وجواز التعبد به :

١ـ القطع في أصول الفقه وليس في الديانات والمعتقدات :

يقول الشيخ المظفر ﷺ : لو قطع المكلف بأمر خطأ فعمل على طبق قطعه ثم بان له يقينا خطأه ، فإنه لا ينبغي الشك في عدم الاجزاء والسر واضح ، لأنه عند القطع الأول لم يفعل ما استوفي مصلحة الواقع بأي وجه من وجوه الاستيفاء ، فكيف يسقط التكليف الواقعي ، لأنه في الحقيقة لا أمر موجه إليه إنما كان يتخيل الأمر . وعليه فيجب امتثال الواقع في الوقت أداء وفي خارجه قضاء .

نعم لو أن العمل الذي قطع بوجوبه كان من باب الاتفاق محققا لمصلحة الواقع فانه لابد أن يكون مجزيا [1].

ويقول السيد الخوئي ؒ : إن كان المراد من العلم هو القطع ولو كان مخالفا للواقع فلا إشكال في التعبد بالأمارة[2].

بمعنى جواز التعبد بالأمارة لكونها تُحقق العلم ، وتشمل الأمارة ظواهر الآيات والروايات وخبر الواحد والاستصحاب بناء على كونه من الأمارات بلحاظ دليله.

٢ـ القطع هو الأمارة :

يقول الشيخ المظفر ؒ : إن الأخذ بالظن المعتبر الذي ثبت على سبيل القطع بأنه حجة لا يكون أخذا بالظن بما هو ظن وإن كان اعتباره عند الشارع من جهة كونه ظنا ، بل يكون أخذا بالقطع واليقين ذلك القطع الذي قام على اعتبار ذلك السبب للظن ،

---

[1]) أصول الفقه،ج٢،ص٢٢٤.

[2]) مصباح الأصول،ج٢،ص٩٤.

وسيأتي أن القطع حجة بذاته لا يحتاج إلى جعل من أحد. ومن هنا يظهر الجواب عما شنع به جماعة من الإخباريين على الأصوليين من أخذهم ببعض الأمارات الظنية الخاصة كخبر الواحد ونحوه إذ شنعوا عليهم بأنهم أخذوا بالظن الذي لا يغني من الحق شيئا . وقد فاتهم أن الأصوليين إذ أخذوا بالظنون الخاصة لم يأخذوا بها من جهة إنها ظنون فقط ، بل أخذوا بها من حجة أنها معلومة الاعتبار على سبيل القطع بحجيتها ، فكان أخذهم بها في الحقيقة أخذا بالقطع واليقين ، لا بالظن والخرص والتخمين . ولأجل هذا سميت الأمارات المعتبرة بالطرق العلمية نسبة إلى العلم القائم على اعتبارها وحجيتها ، لان حجيتها ثابتة بالعلم[1].

وقوله أيضا :

وجوب الأخذ بالواقع المقطوع به ، أي وجوب طاعة الواقع المنكشف بالقطع من وجوب أو حرمة أو نحوهما . إذ ليس وراء

---

[1]) أصول الفقه،ج٣،ص١٧.

انكشاف الواقع شيء ينتظره الإنسان ، فإذا انكشف الواقع له فلابد أن يأخذ به [1].

وقوله :

القطع قام على أن الأمارة الكذائية كخبر الواحد حجة يجوز إتباعها مع التمكن من تحصيل العلم[2].

٣ ـ القطع هو دليلية الدليل :

كما لو دلت الأمارة ـ الرواية مثلا ـ على فعل ما يكون دليل الفعل هو الأمارة ودليل الأمارة شيء آخر فيُعبر عنه بدليلية الدليل .

---

[1]) أصول الفقه،ج٣،ص٢١.

[2]) أصول الفقه،ج٣،ص٣٤.

يقول السيد الخوئي ﷺ : حال الأمارة هي حال القطع لأن الشارع اعتبرها علما في عالم التشريع ، فكما يكون العلم الوجداني منجزا مع المطابقة، ومعذرا مع المخالفة ، فكذلك العلم التعبدي يكون منجزا ومعذرا [1].

٤ ـ القطع نتيجة للأمارة :

يقول الشيخ المظفر ﷺ : القطع لما كان موصلا إلى الواقع حقيقة وطريقا بنفسه إليه ، فالشارع يعتبر الأمارة الظنية طريقا إلى الواقع تنزيلا لها منزلة القطع بالواقع بإلغاء احتمال الخلاف ، فتكون الأمارة قطعا اعتباريا وطريقا تنزيليا [2].

٥ ـ حجية القطع التنجيز والتعذير :

يقول السيد الخوئي ﷺ : وبما ذكرناه ظهر ما في كلام صاحب الكفاية ﷺ من أن المجعول في باب الأمارات هي الحجية، بمعني

---

[1]) مصباح الأصول،ج٢،ص١٠٤.

[2]) أصول الفقه،ج٣،ص٤٢.

التنجيز عند المصادفة والتعذير عند المخالفة، إذ التنجيز والتعذير بمعنى حسن العقاب على مخالفة التكليف مع قيام الحجة عليه[1].

ويقول الشيخ المظفر ﷺ : إن الأمارة تكون معذرة للمكلف فلا يستحق العقاب في مخالفة الحكم كما لا يستحق ذلك عند المخالفة في خطأ القطع[2].

بمعنى أن القطع هو التنجيز والتعذير ـ في دائرة أصول الفقه ـ وليس ترتب الثواب والعقاب كما يأتي الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

---

[1]) مصباح الأصول،ج٢،ص١٠٤.

[2]) أصول الفقه،ج٣،ص٣٥.

القطع بالعقيدة الفاسدة لا يسوغ انتحالها

كثيرا ما يقع الاشتباه بين جواز التعبد بالديانات الفاسدة بسبب القطع بصحتها وبين إعذار أصحابها لكونهم قاصرين وعاجزين عن إدراك المعتقد الحق حيث الفرق الواضح بين تسويغ المعتقد الفاسد وبين عدم المؤاخذة عليه للعجز والقصور عن معرفة الحق بل الصحيح القول بأن هؤلاء مُرجون لأمر الله إن شاء رحمهم وإن شاء عذبهم كما ورد في النصوص الدينية حيث جاء في القرآن الكريم : **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾**[1]

---

[1]) سورة النساء : ٩٧ ـ ١٠٠ .

وقوله تعالى : ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]

وروي في الأحاديث عن حمران قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن المستضعفين ؟ قال : إنهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكافرين وهم المرجون لأمر الله[2].

وعن أبي الصباح عن أبي جعفر ﷺ أنه قال في المستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا : لا يستطيعون حيلة فيدخلوا في الكفر ولم يهتدوا فيدخلوا في الإيمان فليس هم من الكفر والإيمان في شيء[3].

وعن زرارة قال : قلت لأبي عبد الله ﷺ : أتزوج بمرجئة أو حرورية ؟ قال : لا ، عليك بالبله من النساء ، قال زرارة : فقلت:

---

[1]) سورة التوبة : ١٠٦ .

[2]) معاني الأخبار ،باب:معنى المستضعف.

[3]) معاني الأخبار ،باب:معنى المستضعف.

والله ما هي إلا مؤمنة أو كافرة فقال أبو عبد الله ﷺ : وأين أهل ثنوى[1] الله عز وجل قول الله عز وجل أصدق من قولك:**﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾**[2].

ومما يدل على عدم تكليف القاصر قوله تعالى : **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾**[3] فالحكمة الإلهية لا تكلف الإنسان بغير المقدور والقاصر ليس بمقدوره ووسعه إصابة الحق.

إن الآيات والروايات المتقدمة تدل على وجود قسم آخر غير المؤمن والكافر وهو المستضعف الذي من أبرز مصاديقه القاصر عن الهداية وإن كان بعض المتكلمين يرى أنه لا واسطة بين الإيمان والكفر لأنهما كالعدم والملكة فالإنسان إما أن يكون بصيرا أو أعمي ولا ثالث لهما .

---

[1]) أي استثناء **﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾**.

[2]) الكافي،ج٥،ص٣٤٨.

[3]) سورة البقرة : ٢٨٦ .

ولكن لا شأن لنا بالتنظيرات التي تأتي من سياقات الملكة والعدم ورجوماتها الغيبية التي تنفي وجود القسم الثالث بعد ما دلت عليه النصوص القرآنية والروائية والتي يكفي فيها خبر زرارة المتقدم الذي جاء فيه : ((وأين أهل ثنوى الله عز وجل))

وقد يُقال أن بعض الأحاديث تدل على عذاب الشاك والجاحد والكافر فكيف يمكن صرف العذاب عن القاصر ؟!

والجواب : أن هذه الأخبار لا شأن لها بالقاصر وإنما ناظرة للمقصر الذي كان بمقدوره معرفة الحق ولكنه أعرض وأصر على ما هو عليه والنتيجة أن الأحاديث التي تدل على العذاب ناظرة للمقصر والتي ترجئ أمره إلى الله عز وجل كالأحاديث المتقدمة ناظرة للقاصر.

وانطلاقا من النصوص المتقدمة جاءت كلمات الأعلام تبعا لها فمثلا يتحدث صاحب الحدائق عن الشيخ البهائي (رحمهما الله) قائلا : طعن عليه بعض مشايخنا المعاصرين أيضاً بأن له بعض الاعتقادات الضعيفة كاعتقاد أن المكلف إذا بذل جهده في تحصيل

الدليل فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده ولا يخلد في النار وإن كان بخلاف أهل الحق ، قال : ـ الذي طعن على الشيخ البهائي ـ وهو باطل قطعا لأنه على هذا يلزم أن يكون علماء أهل الضلال ورؤساء الكفار غير مخلدين في النار إذا أوصلتهم شبههم وأفكارهم الفاسدة إلى ذلك من غير اتباع لأهل الحق كأبي حنيفة وأحزابه ، وتحقيق البحث لا يليق بهذا المقام انتهى.

أقول وعندي فيه نظر إذ يمكن أن يقال : لا نسلم أن علماء الضلال قد بذلوا الجهد في طلب الحق ولم يقفوا عليه حتى يتم الإيراد بهم كما توهم[1].

وأكتفي بنقل كلمات العلماء في هذا المجال بما ذكره الشيخ الأنصاري ﷺ إذ فيه البغية والمزيد حيث يقول : قد يقال فيه بعدم وجود العاجز، نظرا إلى العمومات الدالة على حصر الناس في المؤمن والكافر ، مع ما دل على خلود الكافرين بأجمعهم في النار ، بضميمة حكم العقل بقبح عقاب الجاهل القاصر ،

---

[1]) لؤلؤة البحرين،ص٢٠.

فيكشف ذلك عن تقصير كل غير مؤمن ، وأن من تراه قاصرا عاجزا عن العلم قد تمكن من تحصيل العلم بالحق ولو في زمان ما وإن صار عاجزا قبل ذلك أو بعده ، والعقل لا يقبح عقاب مثل هذا الشخص ولهذا ادعى غير واحد في مسألة التخطئة والتصويب الإجماع على أن المخطئ في العقائد غير معذور.لكن الذي يقتضيه الإنصاف : شهادة الوجدان بقصور بعض المكلفين.وقد تقدم عن الكليني ﵀ ما يشير إلى ذلك ، وسيجيء من الشيخ قدس سره في العدة من كون العاجز عن التحصيل بمنزلة البهائم . هذا مع ورود الأخبار المستفيضة بثبوت الواسطة بين المؤمن والكافر.وقضيه مناظرة زرارة[١] وغيره مع الإمام ﵇ في ذلك مذكورة في الكافي[٢].

---

[١]) الخبر المتقدم عن زرارة (رضوان الله عليه) .

[٢]) فرائد الأصول،ص٢٨٥.

وملخص ما تقدم بعبارة أخرى يكمن في نقطة واحدة وهي لا بد من التفريق بين المؤاخذة وعدمها على المعتقد الفاسد بسبب القصور وبين جوازه وتصحيحه بسبب القصور والقطع.

وبعبارة أكثر وضوحاً يوجد فرق بين العقاب على العقيدة الفاسدة قصورا ـ لعجزه عن معرفة الحق ـ وبين القول بجواز تبني ذلك المعتقد ومن ثم تصحيح أعماله وترتب الثواب عليها إذ القصور عن الحق والقطع به لا يسوغان الباطل ، ولم يقل به من له ذرة من العلم والعقل إلا من تأثر بشطحات الفلاسفة والصوفية كما تقدم الكلام في ذلك عند بيان معاني وحدة الوجود وأي منها يستلزم تصحيح العقائد والعبادات الباطلة ، وتطرقت بعدها لأشهر المسميات القائلة به.

وقفة مع آية قرآنية

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]

إن بعض المضلين اتخذوا من هذه الآية ذريعة لبدعة جواز التعبد بكافة الأديان مع أن الآية المباركة لا توجد فيها أي دلالة صريحة أو ظاهرة على هذا البدعة والشبهة التي جاءوا بها ، وقد ذكر المفسرون عدة تفسيرات لها :

ـ إن كل أمَة عملت في عصرها بما جاء به نبيها من تعاليم السماء وعملت صالحاً فإنها ناجية ولا خوف على أفراد تلك الأمَة ولا هم يحزنون ، فاليهود المؤمنون العاملون ناجون قبل ظهور المسيح،والمسيحيون المؤمنون العاملون ناجون قبل ظهور نبي الإسلام .

---

[1]) سورة البقرة : ٦٢ .

وهذا المعنى مستفاد من سبب نزول هذه الآية كما ذكرت بعض التفاسير ، فالآية تتحدث عن الشرائع في زمانها قبل نسخها بالشريعة التي بعدها

ـ إن هذه الآية في الحقيقة رد قاطع على الذين يظنون النجاة في ظل قومية معينة، ويفضلون تعاليم بعض الأنبياء على بعض، ويتقبلون الدعوة الدينية على أساس من تعصب قومي، فتقول الآية إن طريق الخلاص ينحصر في نبذ هذه الأقوال وقبول تعاليم جميع الأنبياء عليهم السلام .

ـ إن المؤمنين من المسلمين اليهود والنصارى والصابئين بشرط أن يؤمنوا وأن يتقبلوا الإسلام ويعملوا صالحاً سيكونون جميعاً من الناجين وإن ماضيهم الديني لن يكون له أي أثر في هذا الجانب وإن الإسلام يتطلب الدخول فيه من قبل الجميع.

ـ قال السيد الطباطبائي رحمه الله : تكرار الإيمان ثانيا وهو الاتصاف بحقيقته كما يعطيه السياق يفيد أن المراد بالذين آمنوا في صدر

الآية هم المتصفون بالإيمان ظاهرا المتسمون بهذا الاسم فيكون محصل المعنى أن الأسماء والتسمي بها مثل المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين لا يوجب عند الله تعالى أجرا و لا أمنا من العذاب كقولهم : لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وإنما ملاك الأمر وسبب الكرامة والسعادة حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، ولذلك لم يقل من آمن منهم بإرجاع الضمير إلى الموصول اللازم في الصلة لئلا يكون تقريرا للفائدة في التسمي على ما يعطيه النظم كما لا يخفى وهذا مما تكررت فيه آيات القرآن أن السعادة والكرامة تدور مدار العبودية ، فلا اسم من هذه الأسماء ينفع لمتسميه شيئا ، ولا وصف من أوصاف الكمال يبقى لصاحبه وينجيه إلا مع لزوم العبودية،الأنبياء ومن دونهم فيه سواء ، فقد قال تعالى في أنبيائه بعد ما وصفهم بكل وصف جميل : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ﴾[1] وقال تعالى في أصحاب نبيه ومن آمن معه مع ما ذكر

---

[1]) سورة الأنعام : ٨٨ .

من عظم شأنهم وعلو قدرهم : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[1] فأتى بكلمة منهم وقال في غيرهم ممن أوتي آيات الله تعالى : ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ**﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات الناصة على أن الكرامة بالحقيقة دون الظاهر[3].

فالآية المباركة بصدد الذم والتعريض بالمسميات الجوفاء الخالية من الإيمان ولم تكن بصدد الإقرار والمدح للشرائع بقول مطلق وإن كانت منسوخة بالإسلام.

كما أن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تدعو أهل الكتاب إلى اعتناق الإسلام وتقريعهم بأصناف التقريع عند البقاء على شرائعهم المنسوخة ، وعلى هذا تكون شبهة جواز التعبد منفية بهذه الآيات ـ مضافا لما لتقدم من عدم وجود ما يدل عليها ـ

---

[1]) سورة الفتح : ٢٩ .

[2]) سورة الأعراف : ١٧٦ .

[3]) تفسير الميزان،ج١،ص١٩٣.

ومن ثم تأتي آية عدم قبول الأعمال ممن ينتحل غير الإسلام بشكل قاطع وصريح لكي لا تبقي لذي بال شبهة : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

والنتيجة أن عدم معرفة الحق لا يُصوب ويسوغ التشبث بالباطل والشرائع المنسوخة بالإسلام ، وإنما يُخطأ ويُعاقب من قامة عنده الحجة والبينة على الإسلام ، ويُعذر القاصر الذي لم تقم لديه البينة عليه ـ كما تقدم سابقا ـ ويرجئ أمره إلى الله يوم القيامة إن شاء رحمه أو عذبه.

[1]) سورة آل عمران : ٨٥ .

الإسلام في القرآن الكريم

إن بعض الآيات في القرآن الكريم تصف الدين والشرائع السابقة بالإسلام كقوله تعالى:

-﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[1]

-﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2]

-﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[3]

---

[1]) سورة آل عمران : ١٩ .

[2]) سورة البقرة : ١٣٢ .

[3]) سورة البقرة : ١٣٣ .

-﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]

-﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]

وبسبب هذه الآيات وغيرها توهم بعضهم أن كل ما جاء لفظ الإسلام في القرآن الكريم يراد به الدين وليس خصوص الإسلام المحمدي ولذا فسر الإسلام بالدين في الآية المباركة :﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]

ولو كان المقصود بأن الدين في هذه الآية هو الإسلام لكان معناها من يبتغي غير الدين دينا وبعبارة أخرى يكون المبهم والمميز (الإسلام) عين التمييز (دينا) وهذا لا يمكن قبوله لأنه لا يوجد

---

[1]) سورة البقرة : ١٣٦ .

[2]) سورة آل عمران :٥٢ .

[3]) سورة آل عمران :٨٥ .

وراء الدين دينٌ أو قل لا يوجد ما بعد الإسلام إسلامُ أي لا يوجد إسلام ضمن حيز الإسلام وإسلام خارج عن حيزه من يدين به لا يتقبل الله منه.

ومن الآيات التي تدل على ما تقدم ويراد بها من الإسلام الشريعة الخاتمة قوله تعالى : **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾**[1] (أي من بين الأديان أو حال كون الإسلام من الأديان)

حيث إنها نزلت بعد آية البلاغ : **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[2] وتبليغ الرسول ﷺ بمعنى أنها نزلت بعد الشرائع السابقة للإسلام.

---

[1]) سورة المائدة : ٣ .

[2]) سورة المائدة : ٦٧ .

وحتى لو قلنا المراد بالإسلام هو الدين بآية : **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾**[1] فهي بصدد الدعوة والتمسك بالشريعة الخاتمة ولا تنفي ضرورة التصديق بها إذ بناء على أن الدين هو جميع الشرائع يعم الإسلام بكل تأكيد ولا يسوغ الإعراض عنه ومن يعرض عنه يكون مخاطبا : **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾**[2].

وقد فسر أمير المؤمنين عليه السلام : **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾** بأن الإسلام هو خصوص شريعة سيد المرسلين عند وصفه لرسول الله ﷺ : بعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي ، والمنهاج البادي والكتاب الهادي . أسرته خير أسرة ، وشجرته خير شجرة . أغصانها معتدلة وثمارها متهدلة . مولده بمكة وهجرته بطيبة . علا بها ذكره وامتد بها صوته . أرسله بحجة كافية ، وموعظة شافية ، ودعوة متلافية . أظهر به الشرائع المجهولة ، وقمع به البدع المدخولة ، وبين به الأحكام المفصولة . فمن يتبع غير الإسلام

---

[1]) سورة آل عمران : ٨٥ .

[2]) سورة آل عمران : ٨٥ .

دينا تتحقق شقوته ، وتنفصم عروته ، وتعظم كبوته . ويكون مآبه إلى الحزن الطويل والعذاب الوبيل[1].

عدم وجوب قضاء الكافر والمخالف للنص

توهم بعضهم أن عدم وجوب القضاء في حق الكافر والمخالف بسبب القطع ، أي لكونهم قاطعين بصحة دينهم ومذهبهم لا يجب عليهم القضاء ، في حين إن عدم الوجوب هو لوجود النص ولا شأن له بالقطع لا من قريب ولا من بعيد ، ولم يقل أي أحد من الفقهاء أن عدم الوجوب بسبب القطع.

ويكفي في معرفة تلك النصوص الدالة على عدم الوجوب الاطلاع على بابين في وسائل الشيعة الأول تحت عنوان : ((إن من أسلم في شهر رمضان لم يجب عليه قضاء ما فاته قبل الإسلام

---

[1]) نهج البلاغة/في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه.

ولا اليوم الذي أسلم فيه إلا أن يسلم قبل الفجر وعدم وجوب إعادة المخالف صومه إذا استبصر)).

والآخر : ((عدم وجوب قضاء المخالف عبادته إذا استبصر سوى الزكاة إذا دفعها إلى غير المستحق والحج إذا ترك ركنا منه)).

المصادر

١ ـ الكافي :

محمد بن يعقوب المعروف بالشيخ الكليني .

٢ ـ العين :

الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري .

٣ ـ أصول الفقه :

الشيخ محمد رضا المظفر .

٤ ـ التنقيح في شرح العروة الوثقى :

تقرير الشيخ علي الغروي لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي .

٥ ـ الفتوحات المكية :

محمد بن علي بن محمد بن عربي .

٦ ـ المعجم الفلسفي :

الدكتور جميل صليبا .

٧ ـ في التصوف الإسلامي وتاريخه :

رينولد ألين نيكلسون .

٨ ـ التعريف لمذهب أهل التصوف :

محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي .

٩ ـ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل :

عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي .

١٠ ـ أخبار الحلاج :

علي بن أنجب الساعي .

١١ ـ تفسير الميزان :

محمد حسين بن محمد الطباطبائي .

١٢ ـ ديوان الحلاج :

الحسين بن منصور الحلاج .

١٣ ـ ديوان ابن الفارض :

عمر بن علي بن مرشد الحموي .

١٤ ـ ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق :

محمد بن علي بن محمد بن عربي .

١٥ ـ رسائل أخوان الصفا :

أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي .

١٦ ـ فرائد الأصول :

مرتضى بن محمد المعروف بالشيخ الأنصاري .

١٧ ـ فصوص الحكم :

محمد بن علي بن محمد بن عربي .

١٨ ـ لؤلؤة البحرين :

يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني .

١٩ ـ معاني الأخبار :

محمد بن علي المعروف بالشيخ الصدوق .

٢٠ ـ مصباح الأصول :

تقرير السيد محمد البهسودى لأبحاث السيد أبو القاسم الخوئي .

٢١ ـ مقامات السروجي :

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري .

٢٢ ـ مدخل إلى التصوف الإسلامي :

محمد أبو الوفاء التفتازاني .

٢٣ ـ نهج البلاغة :

ما جمعه محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام

٢٤ ـ وسائل الشيعة :

محمد بن الحسن الحر العاملي .

الفهرست

حكاية بدعة التعبد بالأديان ٧

الصوفية وفكرة جواز التعبد بجميع الأديان ١٤

وحدة الأديان عند الحلاج ١٩

وحدة الأديان عند الجيلي ٢١

وحدة الأديان عند الرومي ٢٨

وحدة الأديان في رسائل إخوان الصفا ٢٩

وحدة الأديان عند ابن عربي ٣١

معنى القطع الأصولي ٤٤

القطع بالعقيدة الفاسدة لا يسوغ انتحالها ٥٠

وقفة مع آية قرآنية ٥٧

الإسلام في القرآن الكريم ٦٢

عدم وجوب قضاء الكافر والمخالف للنص ٦٦

المصادر ٦٨

الفهرست ٧٣